

ماهية الإعراب وأثره في تحقيق التكامل بين المستويات اللغوية

The nature of syntax and its impact on achieving integration between linguistic levels

زبيدة بن اسباع *

جامعة باتنة 1

مخبر الشعرية

Zebida.bensbaa@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2026-05-11

تاريخ الإرسال: 2025-12-22

الملخص:

يعدّ الإعراب عنصراً لغوياً هاماً يعكس بعداً تاريخياً وحضارياً يرسخ أصالة اللغة العربية ويوطّد سلطان العلاقة بينها وبين التاريخ المشترك في فصيلة اللغات السامية. يعكس الإعراب نظاماً حيويّاً في بناء الجملة متجاوزاً بخصائصه المستوى التحويلي ليجد له مكانة تتعدى أحاديّة التخصص في مقولة يمتد من خلالها جسر تواصل يعرب عن هدم الحواجز الوهميّة والصّارمة بين التخصصات اللّغوية. فمماهي العناصر الدقيقة التي أسهمت في تشكيل التكامل بين الإعراب ومستويات اللغة الأخرى؟ وما مدى أثر تلك العناصر في تحديد ماهيّة الإعراب و مكانته بين التخصصات؟ للإجابة على ذلك اخترنا الموضوع الذي عنوانه ب(ماهية الإعراب وأثره في تحقيق التكامل بين المستويات اللّغوية) لنؤكد العلاقة الوطيدة بين البنية والدلالة من خلال عنصر لغوي هامّ هو الإعراب. الكلمات المفتاحية: إعراب، تكامل، مستويات، تخصصات

Abstract

The Diacritical marks in Arabic's Syntax is an important linguistic element that reflects a historical and civilizational dimension that consolidates the authenticity of the Arabic language and strengthens its relationship with the shared history of the Semitic language family, Syntax reflects a vital system in sentence construction, transcending the grammatical level with its characteristics, finding a place beyond the monolithic level of specialization. It serves as a bridge of communication that expresses the demolition of the imaginary and rigid barriers between linguistic specializations. What are the precise elements that contributed to shaping the integration between syntax and other language levels? And to what extent do these elements influence determining the nature of syntax and its place among specializations?

To answer this question, we chose the topic entitled "The Nature of Syntax and Its Impact on Achieving Integration between Linguistic Levels" to emphasize the close relationship between structure and semantics through the important linguistic element of syntax.

Keywords: Syntax, integration, levels, specializations

* المؤلف المراسل

يعدّ موضوع نشأة اللغة من الموضوعات الهامة التي اختلف حولها الآراء اختلافاً بيناً يعكس انتصار العلماء لاعتقادات كثيرة؛ حيث ذهب فريق إلى القول بأنها توقيفية وليس للإنسان فضل في إبداعها. وذهب فريق آخر إلى القول بأنها من وضع الإنسان لتلبية مطالب الحياة الاجتماعية¹. وكان لكل فريق براهين تعضد فكرته في دراسات متنوعة وتخصّصات مختلفة. ولمّا كان البحث في نشأة اللغة أمراً غيبياً فقد انصرف عنه كثير من الجهود لأنّه -حسب تصوّرات الباحثين- لا يقدم إضافة علمية دقيقة إلى الدرس اللساني².

إنّ الحديث عن نشأة اللغة يقودنا إلى الحديث عن اللغة التي عرفها ابن جني (172هـ) بقوله: "أما حدّها؛ فحدها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"³، وإلى مثل هذا التعريف ذهب سوسير في قوله: إنّ اللغة نظام من الرموز الصوتية المعبر بها عن الأفكار⁴.

حيث يقرّ التعريفان -على الرغم من البون الشاسع بينهما- أنّ اللغة الإنسانية ظاهرة صوتية هدفها تحقيقي التواصل⁵. إلّا أنّ اللغة البشرية لها ما يميّز بعضها عن بعض، والإعراب ممّا تختصّ به اللغة العربية دون بقية اللغات، وإذا كان العلماء قد انشّقوا في أصل اللغة فإنّ الإعراب له من الأدلّة والبراهين ما يدفعهم إلى الاعتقاد يقيناً. بأنّه اصطلاحي، وهو مظهر من مظاهر التطوّر اللغوي الطبيعي⁶؛ فإذا افترضنا أنّ بدايات اللغة صيحات وإشارات لتلبية مختلف الرغبات الفردية والاجتماعية، فإنّ اهتداء الإنسان إلى وضع الأسماء اتّجاه مسمايتها خطوة نوعيّة مهّدت له الطّريق لتكوين الجمل، ولم يكن تركيب الجمل المرحلة الأخيرة؛ لأنّ الإعراب هو الخطوة التي توجّهت قمّة التطوّر اللغوي عند الإنسان، وإنّ هذا الكمال اللغوي ترجمة للكمال العقلي والتّموّ الفكري؛ لأنّ توظيف لغة معربة يتطلّب ذهنًا واعياً وعقلاً نامياً ليعبر المبنى فيه عن المعنى⁷.

¹- ابن جني، الخصائص، تج: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1952م، 51/1، وينظر: السيوطي، المزهر، تج: محمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت (د.ط)، 1408هـ-1987م، 10/1.

²- ميلكا إيفيتش، اتّجاهات البحث اللغوي، تر: سعد مصلوح ووفاء كامل فايز، ط2، 75-74/2.

³- ابن جني، الخصائص، تج: محمد علي النجار، 33/1.

⁴- سوسور، (1986) محاضرات في اللسانيات، تر: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، دط، ص12.

⁵- زبيدة بن اسباع، كلمة العدد مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة باتنة، المجلد 15 العدد الأول، ص 13-

⁶- أحمد سليمان ياقوت، (1983) ظاهرة الإعراب في النّحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات

الجامعية، الجزائر، ط2، ص 3.

⁷- المرجع نفسه، ص 3 و4.

إنّ الإعراب أصيل في العربيّة تمتدّ جذوره إلى اللّغة السّاميّة الأمّ، ومن الدّارسين من رأى أنّ اللّغة العربيّة -بما تحمله من مقوّمات- هي اللّغة السّاميّة الأمّ وباقي السّاميات لهجات ناقصة النّمو تفرّعت عن العربيّة¹، والاعتداد بهذا الرّأي تجسّده مجموعة من البراهين نلخصها كالآتي:

1- بقاء اللّغة العربيّة واستمرارها: إنّ الفرضيّة التي تستثمر بقاء العربيّة واستمرارها تعزّز كون العربيّة أمّ السّاميات شأنها في ذلك شأن اللّاتينيّة والسّنسكريتيّة اللّتين انبثقت عنهما لغات أخرى².

2- الإعراب الكامل في اللّغة العربيّة: حافظت اللّغة العربيّة على كمال صورة الإعراب وتفرّعت عنها ساميات غير معربة شأنها شأن السّنسكريتيّة واليونانيّة واللّاتينيّة التي كانت لغات معربة لكن انبثقت عنها لغات غير معربة، كالفرنسيّة والبرتغاليّة والألمانيّة التي تفرّعت من اللّاتينيّة، كما تفرّعت اللّغة الفارسيّة، واللّغات الهنديّة الحديثة من السّنسكريتيّة، وتفرّعت اللّغات اليونانيّة من اللّغة اليونانيّة القديمة³.

3- الموقع الأصليّ للسّاميين: غلب القول بأنّ موطن السّاميين هو الجنوب الغربيّ من شبه الجزيرة العربيّة؛ بلاد الحجاز، ونجد، واليمن، ومن هذا المهد تفرّعت الهجرات السّاميّة إلى المناطق المجاورة كالعراق والشّام، وهذا هو الموطن الأصليّ للعربيّة حيث استقرّ البدو الذين وثّق في بداوتهم وقلّ اختلاطهم بالأمم الأخرى، فكانوا أحفظ للّغة وأصون لقدسيّتها عندهم، فحفظوا بثقة الرّواة الذين كانوا يقصدون هذا المكان يتحرّون فيه أسباب الفصاحة في أصالة اللّغة⁴.

آثار الإعراب في النّقوش: أكتشفت معظم النّقوش التي سبقت العربيّة الفصحى في قلب شبه الجزيرة العربيّة؛ وهي منطقة بين الشّمال والجنوب، وهو المهد الأوّل للسّاميين، وهذه النّقوش تبين آثار الإعراب في لهجات عربيّة قديمة متطوّرة، وهي ما تسمّى بعربيّة النّقوش أو العربيّة البائدة، وهي نظير القسم الثّاني الذي يعرف بالعربيّة الباقيّة⁵.

ومن هذه النّقوش:

¹- صبحي صالح، (1971م) دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، ص 36.

²- أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النّحو العربيّ وتطبيقاتها في القرآن الكريم، ص 4 و5.

³- علي عبد الواحد وفي (1944م)، علم اللّغة، مكتبة النهضة المصريّة، (د)، ط1، ص 115.

⁴- المرجع نفسه، ص 8 و9.

⁵- المرجع نفسه، ص 77.

- نقوش الخطّ المسند الجنوبي¹.
- نقوش الخطّ التّبطيّ² الذي تفرّع عنه (نقش النّمارة³، النّقوش الأوجريّة⁴، النّقوش الأكاديّة)⁵.
- حيث تؤكّد هذه النّقوش بأنّ ظاهرة الإعراب ضاربة بجذور في القدم، وبأنّ الشّعْر الجاهليّ يمثل قمة ما بلغته العربيّة من فصاحة وبلاغة والإعراب أحد أسبابها.
- تنبّت صورة الإعراب كاملة في الشّعْر الجاهليّ لتمثّل الصّمود التّاريخيّ والحضاريّ لهذه الظّاهرة اللّغويّة الهامّة⁶.
- مفهوم الإعراب:

لغة: جاء في تعريف الإعراب أنّه الإبانة عن السّيء والإفصاح عنه، يقال: أُعْرِبْتُ عن السّيء: إذا أوضحت عنه، وفلان مُعَرَّبٌ عمّا في نفسه، أي مبين له وموضّح عنه، والعروب من النّساء: المرأة المتحبّبة إلى زوجها أو العاصيّة المظهره له ذلك، والجمع: (عُرْبٌ) و(عَرِيّاتٌ)⁷.

قال ابن جيّ (ت: 172هـ): "وأصل هذا كلّهُ قولهم: (العرب)، وذلك لما يرجع إليها من الفصاحة والإعراب، والبيان"⁸، ويكمّل هذا المعنى الفيروزآباديّ (ت: 817هـ) في قوله: "(العُرْب)... خلاف العجم... و(الأعراب): سكّان البادية، والجمع: (أعاريب). تقول -أيضا- عرب عاربة، عَرَباء، وعَرَبٌ صُرْحاء، وعربيّ بين العروبة والعربيّة..."⁹.

اختلفت التعريفات في تحديد مفهوم الإعراب في اللّغة لكتّها اتّفقت في ذلك الكمّ المشترك من المعاني التي تتلخّص في: الإفصاح، والإيضاح، والإبانة، وجميعها خلاف الإضمار.

¹ - شوقي ضيف، (1971م) العصر الجاهليّ، دار المعارف، مصر، (د، ط)، ص 33.

² - المرجع نفسه، ص 33، علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص 80.

³ - علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص 80.

⁴ - المرجع نفسه، ص 33،

⁵ - المرجع نفسه، ص 33.

⁶ - ابن خلدون، المقدّمة، التجارية الكبرى، مصر، (د، ط)، (د، ت) ص 562

⁷ - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادّة (عرب)، باب (الباء)، فصل (العين)، 1/ 102.

⁸ - ابن جني، الخصائص، 14/2.

⁹ - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادّة (عرب)، باب (الباء)، فصل (العين)، 1/ 102.

اصطلاحاً: ورد في شأن الإعراب اصطلاحاً مجموعة من التعريفات منها ما كان منطلقاً من مدّ جسور التوافق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؛ حيث ورد في متن الأجرومية أن: "الإعراب في اللغة له معان كثيرة منها الإبانة والتّغيير... لأنّ الكلمة إذا أُعربت ظهر معناها وبان، وتغيّرت عن حالة الوقف"¹؛ إذ يذهب صاحب التعريف إلى أنّ الإعراب في مفهومه الاصطلاحي مرتبط بالدلالة اللغوية المتمثلة في معنيين مختلفين؛ الأول منهما الإبانة إفصاحاً وتوضيحاً، والآخر التّغيير؛ ذاك أنّ اللفظة إذا أُعربت -اقتربت بالعلامة الإعرابية- اتّضح معناها وبان، وتحولت عن حال الوقف إلى حال أخرى ترتبط فيها بالعلامة الإعرابية فتحة أو ضمة أو كسرة .

ويعرّز ابن جني معنى الإبانة في تعريفه للإعراب قائلاً: "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترى أنّك إذا سمعت: أكرم سعيداً أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما، ونصب الآخر، الفاعل من المفعول..."².

وبهذا يشير ابن جني إلى أنّ الإعراب -في الاصطلاح- هو توضيح المعاني النحوية كالفاعلية والمفعولية.. بواسطة القرينة اللفظية المتمثلة في العلامة الإعرابية كالفتحة والضمة؛ فلفظة (سعيد) -مثلاً- حافظت على رتبتها في المثالين، بعد الفعل مباشرة لكنها رُفعت في الجملة الأولى، ونُصبت في الثانية، وسبب ذلك أنّ الضمة لمعنى نحويّ هو الفاعل، والفتحة -أيضاً- لمعنى نحويّ انتقالاً من الفاعلية و انصرافاً إلى المفعولية، ليحضر مفهوم القصد والتّوجّه في نحو الإعراب رفعاً، والانحراف عن القصد في انحراف العلامة الإعرابية تبعاً لتغيّر الوظيفة النحوية.

أركان الإعراب:

ارتبط الإعراب بتغيّر أواخر الكلم تبعاً لاختلاف العوامل الداخلة عليه³، ومن هذه الفكرة يمكننا بسط أركان الإعراب في العامل والمعمول والعلامة والوظيفة النحوية.

1. العامل: هو المؤثر المسؤول عن جلب العلامة الإعرابية المناسبة والمعبرة عن معنى خاص؛ كعامل الرفع، وعامل النصب، وعامل الجرّ، وعامل الجزم.⁴

أنواع العوامل:

1- محمّد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، دار الطلائع، القاهرة، دط، 2009، ص 15.

2- ابن جنيّ الخصائص، 46/1.

3- سيويوه، الكتاب 34، 110/1.

4 - ابن هشام (1998) شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، دار الفكر، ص11.

العوامل نوعان: عوامل لفظيّة وعوامل معنويّة:¹

أ- العوامل اللفظيّة: هي العوامل التي لها حظّ في النّطق فيتلفّظ بها كالنّواصب، والجوازم وغيرها²، والعوامل اللفظيّة ثلاثة أنواع: عوامل فعليّة، وعوامل اسميّة وعوامل حرفيّة.

ب- العوامل المعنويّة: هي العوامل التي ليس لها حظّ في النّطق فلا يتلفّظ بها، كالابتداء في رفع المبتدأ، والتّجرّد من النواصب والجوازم في رفع الفعل المضارع³.

2- المعمول: هو اللفظ الذي يقع عليه تأثير العامل؛ وهو إمّا اسم متمكّن أو فعل مضارع لم تتصل به نون النّسوة أو نون التّوكيد خفيفة أو ثقيلة⁴، والأصل في المعمول أن يكون اسماً، وإعراب الفعل المضارع تأثراً بالعوامل حالة فرعيّة نتجت عن عدوله شها بالأسماء.

3- الموقع: هو الوظيفة النّحويّة للكلمة في الجملة، كالفاعليّة والمفعوليّة والإضافة.

4- العلامة الإعرابيّة: هي الأثر الذي يتركه العامل في المعمول صراحة أو تقديرًا⁵؛ وهي ركن هامّ بموجبه تتعدّد المعاني النّحويّة، وهي التّرجمة الحقيقيّة لتأثير العامل في المعمول.

أنواع العلامات الإعرابيّة:

تنقسم العلامات الإعرابيّة إلى قسمين؛ علامات إعرابيّة أصليّة، وعلامات إعرابيّة فرعيّة.

1- العلامات الإعرابيّة الأصليّة: هي العلامات التي وضعت للتّعبير أصالة عن أوجه إعرابيّة محدّدة، وهي نوعان، علامات إعرابيّة مشتركة، وعلامات إعرابيّة خاصّة.

أ- العلامات الإعرابيّة المشتركة: هي العلامات التي تمثّل قاسماً مشتركاً بين الأسماء والفعل المضارع المعرب، وهما الفتحة والضّمة.

- الفتحة: علامة نصب الاسم، والفعل المضارع المسبوق بناصب.

- الضّمة: علامة رفع الاسم، والفعل المضارع المجرّد من النّواصب والجوازم.

و سيبويه، الكتاب 1/14، 15.

2- السيّد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسيّة للغة العربيّة، دار الرّجاء، عبّابة، ص 41.

3- المرجع نفسه، ص 41.

4- المصدر نفسه، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، 34/1.

5- المصدر نفسه 34/.

ب- العلامات الإعرابية المختصة: هي العلامات التي تختصّ بها الأسماء دون الفعل المضارع المعرب أو العكس، وهما:

- الكسرة: هي من مختصّات الاسم علامة للجرّ.
- السكون: هي علامة جزم يختصّ بها الفعل المضارع المجزوم.

2- العلامات الإعرابية الفرعية: تعرف العلامات الإعرابية بالعلامات الإعرابية النيابية؛ فأما وجه تسميتها بالفرعية فكونها فرعاً عن الحركات الأصلية، وأما وجه تسميتها بالنيابية فراجع إلى أنّها تحلّ محلّ الأصلية في صيغ صرفية مخصوصة، وفي هذا الشأن قال الخصري: "إنّه ينوب عن أربع حركات الأصول عشرة أشياء؛ فينوب عن الضمة: الواو والألف والنون، وعن الفتحة: الألف والكسرة والياء وحذف النون، وعن الكسرة: الفتحة والياء، وعن السكون: الحذف".¹

وبهذا تكون العلامات الإعرابية الفرعية ثلاثة أنواع؛ حروفاً، وحركتين، وحذفاً.

فأما الحروف؛ فهي: الألف، والواو، والياء، وثبوت النون.

وأما الحركتين؛ فهما الفتحة النائية عن الكسرة، والكسرة النائية عن الفتحة.

وأما الحذف: فحذف النون، وحذف العلة.

أوجه الإعراب:

أوجه الإعراب التي تقع في الاسم والفعل أربعة، هي: الرفع والنصب والجرّ² والجزم، ولكلّ واحد منها معنى في اللغة ومعنى في الاصطلاح.

1- الرفع: هو في اللغة: العلوّ والارتفاع³، وفي الاصطلاح تغيّر مخصوص علامته الضمة وما ناب عنها، ويقع الرفع في كلّ من الاسم والفعل المضارع استجابة لتأثير العامل⁴.

2- النصب: هو في اللغة: الاستواء والاستقامة¹، وفي الاصطلاح: تغيّر مخصوص علامته الفتحة وما ناب عنها، ويقع النصب في كلّ من الاسم والفعل المضارع استجابة لتأثير العامل².

¹ - محمّد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، 894/2.

² - الجرّ: مصطلح بصريّ، يقابله الخفض عند الكوفيين.

³ - ابن منظور، لسان العرب، مادّة (رفع).

⁴ - محمد مكي الدين عبد الحميد، التحفة السنية، ص 19.

3- الجرّ (الخفض): في اللّغة: التّسْقُلُ³، وهو في الاصطلاح: تغيّر مخصوص علامته الكسرة وما ناب عنها، ولا يكون الجرّ إلّا في الاسم، وهو علامة مميّزة له⁴.

4- الجزم: هو في اللّغة: القطع⁵، وفي الاصطلاح تغيّر مخصوص علامته السّكون وما ناب عنها، ولا يكون الجزم إلّا بالفعل المضارع متأثراً بعوامل الجزم⁶.

أنواع الإعراب:

ينقسم الإعراب إلى نوعين؛ الإعراب اللفظي، والإعراب التقديري.

1- الإعراب اللفظي:

جاء في التعريف أنّ الإعراب اللفظي هو الإعراب الظاهر، فالظاهر كالذي في آخر زيد في قولك: جاء زيدٌ، ورأيتُ زيداً، ومررتُ بزيدٍ؛ فالضّمة والفتحة والكسرة في آخر (زيد) هي علامات الرفع والنصب والجرّ⁷، وكلّها علامات ظاهرة ملفوظة لم يمنع مانع من النطق بها.

2- الإعراب التقديري:

هو الإعراب الذي يمنع من التّلفّظ به مانع من تعذّر أو استثقال أو مناسبة؛ ومثال التّعذّر في الاسم المقصور كالذي في آخر (الفتى) في قولك: جاء الفتى، ورأيت الفتى، ومررت بالفتى، فإنك تقدر الإعراب فيها للتّعذّر، رفعا ونصبا وجرا⁸.

وتقدر العلامة للثقل في الاسم المنقوص والفعل المضارع؛ ومثال المنقوص لفظة (القاضي) مثل قولك: جاء القاضي، ومررت بالقاضي؛ حيث قُدرت الضّمة عليه فاعلا في الجملة الأولى، وقُدرت الكسرة فيه اسما مجرورا في الجملة الثانية. كما قُدرت الضّمة للثقل في الفعل المضارع المعتل الآخر، نحو: يدعو، ويرمي⁹.

¹- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ص ب).

²- محمد معي الدين عبد الحميد، التحفة السنية، ص 19.

³- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ج ر ر).

⁴- محمد معي الدين عبد الحميد، التحفة السنية، ص 19.

⁵ ابن منظور، لسان العرب ، (مادة : جزم)

⁶- محمد معي الدين عبد الحميد، التحفة السنية، ص 19.

⁷- المصدر نفسه، ص 17.

⁸ المصدر نفسه ، ص 19

⁹- محمد معي الدين عبد الحميد، التحفة السنية ، ص 17.

ولأجل مناسبة ياء المتكلم تُقدّر الحركات الثلاث في الاسم الذي تتصل به ياء المتكلم¹، نحو قولك: كتابي مفيدٌ، وقرأت كتابي المفيدَ، وأفدت من كتابي؛ حيث قدّرت الضمّة والفتحة والكسرة على ما قبل الياء منع من ظهورها اشتغال المحلّ بالحركة المناسبة في كلمة (كتابي).²

مصطلحات الإعراب والبناء:

اتّفق العلماء على أنّ علامات الإعراب حركات شأنها شأن حركات البناء تشترك في النطق بها كما تشترك أيضا في كمّها الصوّتي؛ إذ لا فرق بين الضمّة على الفعل (يكتبُ) أو على الاسم (حيثُ) مع العلم أنّ الأولى علامة إعراب والأخرى علامة بناء، ولما كانت الدقة العلميّة تقتضي توظيف مصطلحات تمييزيّة فقد فرّق العلماء بين مصطلحات الإعراب ومصطلحات البناء على هذا النّحو:

الحركات:	مصطلحاتها في باب البناء:	مصطلحاتها في باب الإعراب:
الفتحة	الكلمة مبنية على الفتح أو مفتوحة	الكلمة منصوبة.
الضمّة	الكلمة مبنية على الضمّ أو مضمومة	الكلمة مرفوعة.
الكسرة	الكلمة مبنية على الكسر أو مكسورة	الكلمة مجرورة.
السكون	الكلمة مبنية على السكون أو ساكنة	الكلمة مجزومة.

رجّح الدّارسون كون مصطلحات حركات البناء ومصطلحات الإعراب من اختراع الخليل بن أحمد الفراهيديّ وأنّ الفرق القائم بين هذه المصطلحات واضح على الرغم من الأصل المشترك المتمثّل في حقيقة (الفتحة - الضمّة - الكسرة - السكون)³.

فمصطلحات البناء (الفتح - الضمّ - الكسر - السكون) هي من صفات أعضاء النطق عند الإفصاح بهذه الحركات، ومصطلحات الإعراب (الرفع - النصب - الجرّ - الجزم) من صفات الصّوت.

نسب الخليل بن أحمد الفراهيدي تحديد الحركات إلى حركة الحنك الأعلى والحنك الأسفل مع وضعيّة الشّفتين، حيث قال: "المتكلم بالكلمة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى، ويجمع بين شفتيه، والمتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه فيبين حنكه الأسفل من الأعلى... وأمّا الجرّ فإنّما سيّ بذلك لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به وميله إلى إحدى الجهتين، وأمّا الجزم فأصله

¹ - المصدر نفسه، ص 18.

² - المصدر نفسه ، ص 18

³ - الرّجائيّ أبوالقاسم (1952)، الإيضاح في علل النّحو، تح: مازن المبارك، دار العروبة، القاهرة، (دط)، ص 93 ، 94.

القطع... يقال جزمت الشّيء.. قطعتة.. فكان معنى الجزم قطع الحركة عند الكلمة...¹؛ حيث بيّن الخليل أنّ بناء الضّمة يقوم على رفع الحنك الأسفل إلى الأعلى مع ضمّ الشّفتين، وبناء الفتحة يكون بإبعاد الحنك الأسفل عن الأعلى مع فتح الشّفتين، ويكون بناء الكسرة بخفض الحنك الأسفل وميله إلى إحدى الجهتين، ويكون الجزم بقطع أيّة حركة عند المنطوق فيثبت الصّوت في مخرجه.

ويقتضي الإنصاف القول بأنّ أبا الأسود الدؤليّ (ت 69هـ) أوّل من وصف عضوين من أعضاء النّطق تحديداً للعلامات الإعرابيّة، وهذان العضوان هما الشّفتان ولعلّى موضعهما مرأى العين يسّر تحديد الطّريقة التي يتحقّق بموجبها الفتحة والضّمة والكسرة.

وأما ألقاب الإعراب وهي (النّصب والرّفْع والجرّ والجزم) فهي صفات للأصوات مقابل مصطلحات البناء التي هي صفات للأعضاء، وفي هذا الشّأن يقول التّهانوي: "فقولهم: ضمّ وفتح وكسر هو من صفة العضو، وإذا سمّيت ذلك رفعا ونصبا وجرّا وجزما، فهو من صفة الصّوت، وعبروا عن هذه بحركات الإعراب؛ لأنّه لا يكون إلّا بسبب وهو العامل، كما أنّ هذه الصّفات (يقصد البناء) إنّما تكون بسبب وهو حركة العضو"²، حيث لخصّ التّهانوي سبب حركات البناء التي ردها إلى العضو، وسبب حركات الإعراب التي كان مردّها إلى العامل.

وما يجدر التّأكيد عليه أنّه لا فروق صوتيّة بين حركات الإعراب وحركات البناء³،

و الإعراب والبناء من خصائص العربيّة ذاك أنّ لكلّ لغة تركيبية خلقا خاصّا لا تكون لغة إلّا به، واللّغة العربيّة لغة تركيبية تمتاز بأحوال الإعراب والبناء، وتختلف فيها المعاني وتشكّل حسب الحركات التي نراها في آخر كلّ كلمة من كلماتها⁴؛ حيث يمثّل كلّ من الإعراب والبناء أصليّن ثابتين هامّين من أصول العربيّة التي بنيت على هذين البابين؛ لأنّ الكلمة في العربيّة لا تنأى عن كونها معربة أو مبنية باعتبار الأصول أو الفروع.

علّة الإعراب:

اختلف العلماء في تحديد علّة الإعراب تحديداً دقيقاً وذهبوا في ذلك مذاهب؛ حيث ينتصر بعضهم لفلسفة الأصل؛ وينتصر بعضهم لفلسفة العامل كما ينتصر بعضهم الآخر لفكرة الشّبه،

¹ - الرّجّاجي أبوالقاسم ، الإيضاح في علل النّحو ، ص 93 ، 94.

² - محمّد علي التّهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون، 2/894.

³ - ابن يعيش، شرح المفصل، الطبعة المصرية، مصر، (د، ط)، (د، ت)، 82/1.

⁴ - زكريا نفوس، تاريخ الدعوة إلى العاميّة وأثارها في مصر، ص 31.

وأما اعتبار الأصل فمضمونه أن: الأسماء أعربت لأنَّ الأصل في الأسماء الإعراب.¹ وأما اعتبار العامل فمضمونه أن: إعراب الأسماء و إعراب الفعل المضارع مرده إلى تأثرها بالعوامل.² وأما اعتبار الشَّبه: فإعراب الأسماء راجع لسلامتها من شبه الحرف، وإن إعراب الفعل المضارع راجع إلى شبهه بالاسم في تأثره بالعوامل.

الإعراب ظاهرة لغوية هامة تختلف عن سواها من الظواهر اللغوية وتتميز عنها إلا أنَّها تحقق مقولة ائتلاف مع غيرها من المستويات اللغوية والتَّخصصات .

فكيف مدَّ الإعراب جسر التَّواصل العلمي والمعرفي بينه وبين تخوم التَّخصصات ومستوياتها: الصوتية والصرفية والنحوية ؟

1- التكامل بين الإعراب والمستوى الصَّوتي:

إنَّ ائتلاف المستويين الصَّوتيِّ والتَّحويِّ له صور عديدة لعلَّ أبرزها مرتبط بالعلامة الإعرابية؛ فهذا أبو الأسود الدَّؤليَّ (ت: 69هـ) يترجم العلامة الإعرابية إلى واقع مادِّي خطِّي اعتماداً على وصف صوتيِّ عضويٍّ؛ إذ يعدُّ الدَّؤليَّ أوَّل من وصف هيئة عضو من أعضاء النطق وهما الشَّفتان لتحديد الصَّورة النَّطقية للعلامات الإعرابية الثلاثة؛ حيث قال لكتابه: "إذا رأيتني قد فتحت شفتيَّ بالحرف فانقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت شفتيَّ فاجعل النِّقطة من تحت الحرف، فإن أتبعته شيئاً من ذلك غنَّه (تنوينا) فاجعل مكان النقطة نقطتين"³.

فكانت النِّقطة أعلى الحرف فتحة، والتي بين يدي الحرف ضمة والتي من أسفله كسرة، وإثبات النِّقطتين دليل التَّنوين إمَّا بفتحتين أو ضمَّتين أو كسرتين.

وأما الخليل بن أحمد الفراهيديَّ (ت170هـ) فقد أكَّد قيمة العلامة الإعرابية وثمَّتها من خلال تجربته التي سمَّاها بـ (تدوُّق الأصوات)، لتحديد مخارج الأصوات وصفاتها؛ حيث كان ينطق بالحرف ساكناً مسبقاً بهمزة متحرِّكة ليثبت حقيقتين اثنتين؛ إحداهما كون السَّكون معدوم القيمة الصَّوتية، والأخرى إثبات القيمة الصَّوتية للحركات؛ لأنَّه حين سئل عن وجود السَّكون في

1- ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، 37/

2- المصدر نفسه، 25/1

3- شوقي ضيف، المدارس التَّحوية،، دار المعارف القاهرة، ط5، (د ت)، ص 16.

تذوّقه للحرف بدل الحركات أجاب بأنّ الحركات تقلّق الحرف عن موضعه؛ أي تحرّكه وتتيح له امتداداً¹، وهذا ما عبّر عنه المحدثون بالقيمة الفيزيائية للحركات.

في حين رأى قطرب (ت: 206هـ) أنّ حركات الإعراب وعلاماته قد وضعت لضرورة صوتية خالصة حيث أشار إلى أنّ: "الاسم في حال الوقف يلزمه السّكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسّكون -أيضاً- فكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل: وكانوا يبطلون عند الإدراج، فلما وصلوا وأمكّنهم التحريك جعلوا التّحريك معاقبا للإسكان، ليعتدل الكلام. ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرّك وساكن، ومتحرّكين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين لا في حشو كلمة ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحرّكة؛ لأنّهم في اجتماع السّاكنين يبطلون وفي كثرة الحروف المتحرّكة يستعجلون، وتذهب المهلة، فجعلوا الحركة عقب الإسكان"².

بيّن قطرب في نصّه أنّ السّكون وقفا ظاهرة لغوية سبقت الإعراب وقصّرت عن تيسير الوصل فكانت العلامة الإعرابية الإضافية التي دلّلت صعوبة الانتقال بين أجزاء الكلم، ليوضّح بعدها مجموعة من القوانين الصوتية التي رام المتكلّمون من ورائها تخفيف النّطق؛ وذلك من خلال المزاوجة بين الحركة والسّكون وفق نظام (الحركة والسّكون) و(الحركتين والساكن) متحاشين الجمع بين الساكنين في حشو الكلمة، وفي حشو البيت لتفادي البطء ثقلاً، متجنّبين أيضاً الجمع بين أربع حركات متواليات تفادياً للعجلة ومناشدة للمهلة.

وهذا تجاوز قطرب الرّأي القائل بأنّ العلامة الإعرابية وُضعت للتّفريق بين المعاني مؤكّداً على أنّ دورها وثيق الارتباط بحدث صوتي محض هو تحقيق النّطق بمراعاة قوانين صوتية تجبّ البطء حيناً، وتجنب العجلة حيناً آخر. وهي تجربة صوتية تروم الخفة في يسر واعتدال.

وإلى مثل هذا الرّأي ذهب بعض المحدثين أمثال إبراهيم أنيس؛ حيث قال إنّ الأصل في كلّ كلمة هو سكون آخرها سواء في هذا ما يسّى بالمبنيّ أو المعرب، إذ ليست حركات الإعراب في رأيه عنصراً للبنية في الكلمة، كما أنّها ليست دلّائل على المعاني كما يظنّ النّحاة³، بل لم تكن تلك الحركات الإعرابية مقرونة بالمعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النّحاة، لأنّها لا تعدو أن تكون حركات يُحتاج إليها في كثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض⁴.

¹ - شوقي ضيف، المدارس النّحوية، ص 32 و 33.

² - الرّجّاجي، الإيضاح في علل النّحو، ص 70 و 71.

³ - إبراهيم أنيس، من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، (د، ط)، 1951م، ص 204.

⁴ - المرجع نفسه، ص 202.

وهذا الطّرح يمثّل رأي إبراهيم أنيس امتدادا لنظيره عند قطرب منتصرا للبعد الصّوتيّ. وثبت أنّ أبا الأسود الدّؤليّ لم يذكر السّكون ضمن العلامات الإعرابيّة في مستوى التّجربة النّطقيّة أو الكتابيّة، وهذا موقف يؤكّد إبعاد كونه قيمة إعرابيّة.

2_ التكامل بين الإعراب والمستوى الصّرفيّ:

بيّنا سابقا أنّ حركات الإعراب تعكس وجهها من وجوه التقاطع بين المستوى الصّوتيّ والمستوى النّحويّ، وإذا كانت حركات الإعراب همزة وصل بين الدّرسين فإنّ حروف الإعراب التي هي علامات الإعراب النّيابيّة الفرعيّة المتمثّلة في (الألف والواو والياء والنّون) هي علامات تلخّص درسا صرفيّاً قائما بذاته؛ لأنّ بنية الكلمة في هذا المقام هي التي تستدعي العلامة الإعرابيّة النّائبة عن العلامات الأصليّة، وهذا ما تجسّده الأبواب السّبعة، وهي: (باب الأسماء السّت، وباب المثنى والملحق به، وباب جمع المذكر السّالم والملحق به، وباب جمع المؤنّث السّالم والملحق به، وباب الممنوع من الصّرف، وباب الأفعال الخمسة، وباب الفعل المضارع المعتلّ الآخر)

ولمّا كان الدّرس الصّرفيّ جزء من النّحو نشير أنّ قمّة التّفاعل بين المستويين هو تنوّع الصّيغ الصّرفيّة التي بموجبها تتنوّع العلامات الإعرابيّة الأصليّة والفرعيّة¹.

وانّه لا يخفى علينا أنّ تصنيف الأفعال في مختلف الأزمنة مع مختلف الضّمائر مقدّمة صرفيّة لتحديد أنواع الإعراب في المضارع إثباتا ونفيا.

كما أنّ الصّيغ الصّرفيّة بتعددتها وتنوعها مظهر هام من مظاهر التقاء المستوى الصّرفيّ مع النّحويّ من خلال الإعراب ونظرية العامل؛ فالمشتقات مثل: (المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة) هي صيغ وُلدت على سبيل الاشتقاق ولها من البنى والمعاني الصّرفيّة ما يميز بعضها عن بعض لكن جميعها تشترك في خاصيّة نحويّة واحدة وهي العمل إذا توفرت فيها شروط؛ لتتحوّل الى عوامل مؤثّرة لها معمولات يظهر فيها الإعراب أثرا لذلك العمل.

مكانة السّكون في الدّرس الصّرفيّ:

يتجسّد حضور السّكون علامة للجزم في الفعل المضارع المجزوم، وبمقتضى هذا الوجه الإعرابيّ تتغيّر بنية الكلمة مثل: يَكْتُبُ التي تتكون من ثلاثة مقاطع هي: يَكْ/ تْ/ بْ، في حال الجزم

تتحوّل الكلمة إلى مقطعين لم يَكْ/تُبْ، ومثله: يَرْمِي فالكلمة مكونة من مقطعين يَز/مي. لم يَز/م؛ حيث نجد المقطع الثاني بحركة قصيرة بدل الحركة الطويلة بعد حذف العلة.

ومثله الأفعال الخمسة نحو: يَكْ/دُ/بُو/نَ، لم يَكْ/دُ/بُوا حيث يُجزم الفعل بحذف نونه فيصبح بثلاثة مقاطع عوض أربعة مقاطع؛ إذ يتجلى أثر الجزم وجها من وجوه الإعراب في تغيير بنية الكلمة.

التكامل بين الإعراب والمستوى النحوي:

سبق الذكر بأن الإعراب عنصر هامّ من عناصر الدرس النحوي، فقد ذهب ابن جني في تعريفه للنحو أنّه "انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره..."¹؛ حيث يتأكد أنّ الإعراب في طليعة المكونات النحويّة، وإنّه لا يخفى علينا أنّه القرينة التي توجّه المعاني النحويّة.

إنّ العلاقة بين الإعراب والدرس النحوي تتجاوز علاقة جزء بكلّ لتتوغّل الصلة في عمق تاريخ نشأة النحو؛ لأنّ السبب الحقيقي في نشأة النحو هو انتشار اللحن الذي أدى إلى فساد المعنى فلم يكن بدّ من وضع علم يعصم اللسان من اللحن فكان ميلاد النحو العربي².

بل إنّ الأمر لم يقف عند حدود النشأة، وإنّ ما زاد من توطيد العلاقة بين الإعراب والنحو توظيف المصطلح؛ حيث أُطلق على النحو علم الإعراب من باب إطلاق جزء وإرادة كل، ومرّد الأمر أيضاً إلى مكانة الإعراب في الدرس النحوي وأهميته في بناء الجملة موضوع النحو³.

مكانة السكون في الدرس النحوي:

إذا كان النحاة قد اتّفقوا على أنّ العلامة الإعرابيّة قرينة لغويّة تتحدّد من خلالها المعاني النحويّة من فاعليّة ومفعوليّة...⁴، فإنّ السكون مفرغ من الدلالة النحويّة؛ لأنّه لا يحضر إلّا علامة للجزم في الفعل المضارع وعلامته الفرعيّة هي الحذف.

التكامل بين النحو والدلالة:

¹ - ابن جني، الخصائص 1/ 34.

2 أبو الطيب المتنبي، مراتب النحويين، تقديم و تعليق محمد زينهم محمد عذب، دار الأفاق العربية القاهرة (د. ط) 1423هـ - 2003م، ص 15

3 ابن يعيش، شرح المفصل، 8/1

4- ابن يعيش شرح المفصل 1، 42/1.

إن الحديث عن علاقة النَّحو بالدَّلالة هو حديث عن علاقة الدَّالِّ بالمَدلول، وعلاقة البنية بالمعنى، وعلاقة التركيب بالدَّلالة بل إنه حديث عن علاقة الرُّوح بالجسد، ولا نخال للدَّالِّ أو للبنية أو للتركيب قيمة إذالم يتحقق المعنى؛ لذلك ميَّز النحويون بين المهمل من اللفظ والمستعمل،¹ وربط اللغويون بين الصوت المفرد والدلالة..... بل إنهم ألحوا على الدلالة في حركات بناء الكلمة فأبدعوا في تأليف المثلثات مثل مثلث قطرب... ولابن جني في كتابه الخصائص بابان (باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني)²؛ (و (باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)³ يبرز من خلالها تغير المعنى لتغير الصوت صامتا أو صائتا؛ ومثال الصامت تبديل القاف في (قضم) بالخاء في (خضم)؛ لأن القضم للتعبير عن أكل اليابس، والخضم للتعبير عن أكل الرطب؛ ومردَّ التمييز بين المعنيين هي خصائص الشدة في القاف، وخصائص الرخاوة في الخاء. ولما كان ما يلحق الإنسان أكرم مما يلحق الحيوان؛ فقد ميز ابن جني بين الدُّلِّ للإنسان والدُّلِّ للحيوان وكلاهما خلاف العزِّ،⁴ ولما كان النحو جزء من الصرف فإن ما تحيل إليه الصبغ الصرفية من دلالة على الفعل أو اسم الفاعل أو اسم المفعول أو المضعف الرباعي تكررنا للبحث أو غيرها هي نقطة التقاء جلية، وإن التَّغيير في حركة بناء الصبغ يعدل بها من معنى إلى آخر ف(المُدخل) بفتح الميم والخاء من (دخل) على سبيل الخيار، و(المُدخل) بضم الميم وفتح الخاء من الفعل (أدخل) على سبيل الإلزام، و(المُدخل) بضم الميم وكسر الخاء اسم فاعل. إن هذا الطرح مسألة هامة في كتب النحو حيث الإشارة إلى المعنى بدلالة اللفظ، وعلى دلالاته الصناعية بالصيغة فالفعل خرج يدل على معنى الحث مصدرا بلفظه وهو الخروج وتدل صيغته على زمن الماضي،⁵ وإلى إن موضوع الدرس النحوي الدرس النحوي الجملة؛ والجملة كلام مفيد يحسن السكوت عليه، إذ لا يطلق هذا المصطلح إلا على المركب الإسنادي المفيد في تفاعل أكيد بين التركيب والمعنى حيث اللقاء الحتمي بين النحو والدلالة، ولعلَّ الخبر الذي ساقه ابن هشام في كتابه مغني اللبيب يؤكد الصلة بين النحو والمعنى: فقد سئل نحوي عن إعراب الكلالة ممن قول تعالى: [وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ] (سورة النساء: الآية 12) قال النحوي أخبروني ما الكلالة؟ قال ابن هشام معلقا: ولقد أصاب النحوي في سؤاله؛ وهو السؤال عن المعنى، ولكنه أخطأ في جوابه حين قال: "هي إذن تمييز"، معتقداً أن الأصل "يرثه كلاله" فحذف الفاعل (الوارث) وجعلها تمييزاً على اعتار أن المعنى اللغوي للكلالة هو الورثة إذا لم يكن فيهم أب فما علا ولا ابن فما سفل. رد ابن هشام على إعراب النحو بقوله، فإن التمييز

1- ابن عقيل، شرح الألفية، 13/1

2- ابن جني، الخصائص، 154/2

3- المصدر نفسه 147/2

4- المصدر نفسه، 154/1

5- الاقتراح، السيوطي، ص 29

بالفاعل بعد حذفه نقض للغرض الذي حذف لأجله، وتراجع عما بنيت الجملة عليه من طيّ ذكر الفاعل فيها

ثم يورد ابن هشام مجموعة من الوظائف النحوية للكلمة توجهها المعاني المعجمية¹؛

وإذا كانت الوظيفة النّحوية رهينة المعنى المعجمي -في نحو هذا التعبير- فإن المعنى المعجمي رهين السياق اللّغوي، والسيّاق اللّغوي رهين السيّاق الاجتماعي لتتعدى العلاقات من مستوى دلالي قريب إلى مستوى دلالي بعيد.

والنّحو في تنوع تركيبه يحيلنا إلى أساليب متنوعة يكفلها الإعراب بكل جدارة واستحقاق؛ فقولهم: ما أجمل السماء! ما أجمل السماء؟ ما أجمل السماء. جمل تنوع فيها الأساليب بتنوع العلامة الإعرابية.² ويمثل كسر المتوقع من الإعراب علامة فارقة في التمييز بين النصب على المدح، والنصب على الذم؛ حيث يتميز الوصف مدحا أو ذما بعلامة النصب؛ ومثاله قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 162) حيث نُصب لفظ ﴿الْمُقِيمِينَ﴾ من الآية الكريمة على المدح بفعل محذوف تقديره أمدح ﴿الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ مخالفا ماجاء على سبيل الوصف من الفاعل مرفوعة في سياق الآية الكريمة ﴿الْمُؤْمِنُونَ..... الْمُؤْتُونَ﴾ النصب على المدح في القرآن هو أسلوب نحوي وبلاغي يُستخدم فيه المنصوب لخفته على اللسان من المرفوع، كما يسهم في زيادة البلاغة على الممدوح والتأكيد عليه والتركيز أكثر من المرفوع. على سبيل تخصيصه بعلامة النصب المخالفة للمرفوع.³

1- بن هشام (1985)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ط2، 144/1.

2- إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، ص50

3- ابن عاشور (1984) (التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والوزيع، تونس، 2372/5م،

ومما جاء على سبيل النَّصْب على الذَّم قوله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (سور: المسد 1-5) الأصل في العطف أن ترد لفظة ﴿ حَمَّالَةٌ ﴾ مرفوعة مثل ﴿ امْرَأَتُهُ ﴾ ولكن عُدل عن الرِّفْع إلى النَّصْب قصدا للذَّم والتَّقْبِيح والتَّشْهِير¹

إنَّ النَّصْب على الذَّم مثل النَّصْب على المدح في العدول النَّحْوِي على رتبة العلامة الإعرابِيَّة للفت الانتباه إلى معنى جديد يختصره الإعراب في نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره أمدح أو أذم، غرضاً حاد عن الوصف المتوالي ليصنع التَّمْيِيز ويؤكد المعنى.

اقتفاء لأثر الدَّلالة في الإعراب حضوراً مع العلامات الإعرابية، وغياباً مع السَّكُون، نتساءل عن حظَّ السَّكُون من الدَّلالة وقفاً². والوقف معيار من معايير السَّلامة اللَّغْوِيَّة في نحو إنشاد هذا البيت :

لا يكونُ العيرُ مهراً لا يكونُ المهرُ مهراً³

حيث إن الوقف في غير موضعه الصَّائب يقودك إلى القول بورود اللَّحْن؛ كأن تفصل بين صدر البيت وعجزه؛ فيُلَفَّت الانتباه إلى ضرورة نصب (مهر) باعتبارها خبر كان، والأمر غير ذلك لأن السَّلامة النَّحْوِيَّة تقتضي وقفاً صريحاً بعد (لا يكون) من عجز البيت توكيداً للصَّدر لتؤدي السَّلامة النَّحْوِيَّة إلى صحَّة المعنى؛ فيستقيم معنى التعبير على هذا النَّحْو من الإنشاد: ⁴

لا يكونُ العيرُ مهراً، لا يكونُ (وقف) المهرُ مهراً

ولعل الوقف في القرآن الكريم خير دليل على أثره في توجيه الدلالة، في مثل قوله تعالى

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. ﴾ (سورة البقرة: 11) (إن الوقف بعد ﴿ قَالُوا ﴾) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا ﴾ دليل على سرعة الرَّد استعلاء وادعاء مستمرا على الإصلاح، وتجاهلاً لما نهوا عنه؛ حيث يختزل سلوك القول نبذة الاستهزاء⁵

¹- ابن هشام مغني اللبيب، 145/1، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 603/30

²- سيبويه، الكتاب، ص، 39/1

³- البيت من شواهد السيوطي، جلال الدين، (د ت). الأشباه والنظائر، تحقيق الدكتور عبد العالي سالم مكرم،

مطبعة الرسالة ، 254/3

⁴- المصدر نفسه، 254/3

⁵- ابن عاشور التحرير والتنوير، 142/1

كما أن السّكون واقع نحوي لا يمكن إنكاره؛ لأنه علامة لجزم المضارع والجزم قطع في بنية الكلمة يشعرك بصرامة الفعل، وأثر الصيغة دليل قطعي في نحو قولك: (لم يفعل)¹

الإعراب والرمز الخطي

إن وضع الإعراب رمزا خطيا كان إنجازا هاما صاحب وضع الأبواب النّحويّة الأولى على يد أبي الأسود الدؤلي (ت: 69هـ) ولعلّ نصه الموجه إلى كاتبه بعد طلب إحضار المداد الأحمر يختصر الصنيع حيث خاطبه قائلا: "إذا رأيته قد فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت شفتي فانقط بين يدي الحرف، وإن كسرت شفتي فاجعل النّقطة من تحت الحرف، فإن أتبعته شيئا من ذلك غنة (تنوينا) فاجعل مكان النّقطة نقطتين"².

وبهذا الإنجاز يعدّ أبو الأسود الدؤليّ أوّل من جسّد العلامة الإعرابيّة رمزا خطيًا في المصحف الشّريف؛ حيث وضع نقاطا بمداد أحمر تعبيرا عن تلك العلامات الإعرابيّة التي نمثلها على هذا النّحو حسب النّصّ المعتمد:

. فتحة .. فتحتان

. ضمة .. ضمّتان

. كسرة .. كسرتان

سجّلت العلامة الإعرابيّة بعدها تطوّرا خطيًا على يد الخليل بن أحمد الفراهيديّ الذي اعتمد المبدأ القائل بأنّ الحركات أبعاد حروف المدّ؛ فلما كانت الفتحة بعض الألف وضع ألفا مبطوحا أعلى الحرف (ـَ)، ولما كانت الضّمة بعض الواو وضع واوا صغيرة أعلى الحرف (ـُ)، ولما كانت الكسرة بعض الياء وضع مدّا مبسوطا أسفل الحرف، وعبر عن التّنوين بعلمتين اثنتين³، وبقيت رموز العلامات التي أبدعها الخليل إلى يومنا تعكس بعدا دينيًا ولغويًا شاملا وحضاريًا، مؤكّدا العلاقة الوطيدة بين المنطوق والمكتوب، وبين الأصول العضويّة والفروع الفيزيائيّة.

¹-سيبويه، الكتاب، ص40

²- شوقي ضيف، المدارس النّحويّة، ص 16.

³³³- أبو عمر بن سعيد الداني (1960م) المحكم في نقط المصحف تحقيق عزة حسن، وزارة الإرشاد، دمشق، (دط) ص8، وشوقي ضيف، تاريخ الأدب العربيّ، 2/267.

رسم السكون في الرمز الخطي:

إنَّ الرَّمزَ الخطِّيَّ الذي وضعه العلماء لتمثيل السكون هو (0)؛ لأنَّ السكون علامة صفريَّة لانتهاء قيمته الصَّوتِيَّة، كما أنَّ ما ينوب عنه جزماً هو حذف، وكما انتفى دوره، فإنَّ رمزه الخطِّي مرآة عاكسة لمعناه¹؛ لكن السكون ظاهرة لغويَّة لا يمكن إنكارها؛ فالسكون علامة أصليَّة للجزم، وهو باب مستقلٌّ مرتبط للجزم، وهو باب مستقل في كلام العرب؛ فالعربيَّة لا تبدأ بساكن ولا تقف عند متحرِّك، كما أنَّها لا تجمع بين ساكنين لا في حشو كلمة ولا في حشو بيت ممَّا يؤكِّد كون القوانين المتعلِّقة به؛ أي السكون، سبباً من أسباب الخفَّة².

مما تقدَّم يتَّضح أنَّ الإعراب ظاهرة يبرز أثرها في النَّحو لكتِّه في الوقت نفسه نقطة تقاطع بين مختلف المستويات اللُّغويَّة انطلاقاً من حقيقته الفيزيائيَّة الصوتية، وتكامله مع المستوى الصَّرفي في تفاعل عميق بين البنية الصَّرفية والوظيفيَّة النَّحويَّة وما تتطلبه من إعراب أصليٍّ أو فرعيٍّ، أو صيغة عاملة تتطلَّب معمولاً يظهر فيه أثر العمل، كما لا يخفى علينا مكانة الإعراب في الدَّرس النَّحويِّ بوصفه مقولة لها حمولة معنى هام هو المعنى النَّحويِّ في مختلف الوظائف النَّحويَّة الَّتِي لا تنأى عن المعنى المعجمي والدَّلالي لأنَّ الإعراب جزء من الجملة؛ والجملة مركَّب إسناديٍّ يعبر وجوباً عن معنى.

الخاتمة:

وَعى النَّحاة الأوائل بأنَّ القاعدة النَّحويَّة قوامها أصول منهجيَّة وأصول ثابتة؛ والأصول المنهجية ترجمة لثقافتين؛ ثقافة النَّقل سماعاً وثقافة العقل قياساً، وعلى أساسهما بُني صرح النَّحو معتمداً على الإعراب والبناء أصليين ثابتين أساساً لهندسة الأبواب النَّحويَّة ضمن ثنائية الثَّابت بناءً والمتغيِّر إعراباً

يمثِّل الإعراب موضوعاً أساسياً من موضوعات النَّحو؛ لأنَّه أصل من أصوله الثَّابتة، وهومن القرائن الهامة الموجهة للمعنى النَّحويِّ، ونظراً لأهميَّته في التَّواصل نشأ علم النَّحو يعلم العربيَّة وإعرابها لتستقيم الجملة على ألسنة النَّاطقين فصاحة وبلاغة.

يعكس الإعراب قيمة تاريخية يجسدها ثبات الإعراب وثبوته كاملاً في اللُّغة العربيَّة دون غيرها من السَّاميات ممَّا يعزِّز فكرة كونها أقرب اللُّغات إلى اللُّغة السَّامية الأم.

¹ - كمال بشر، دراسات في علم اللُّغة، 233/1.

² - المرجع نفسه، 233/1.

تؤكد العربيّة كون اللّغة مبنى ومعنى؛ لذلك نجد المعنى هو العمود الفقريّ لجميع مستويات اللّغة ابتداء من أصغر وحدة وهي الصّوت (الصّوامت والصّوائت) قبل الانتقال إلى معاني الصّيغة الصّرفيّة، ومعاني التّراكيب النّحويّة وأغراضها البلاغية.

الإعراب قيمة صوتيّة من خلال إسهامه بخصائصه الصوتية في تمديد الصّوامت بكيفيات مختلفة تحددها حركة الحنك الأسفل وحركة الشّفتين، ممّا يؤكّد كون الصّوت عملة ذات وجهين أحدهما عضويّ للصّوامت، والآخر فيزيائيّ للصّوائت، ولا يخفى علينا أثر الحركات في بعث الجرس الموسيقيّ الشعريّ، مما يؤكّد أنّ العربية لغة شاعرة وهي لغة فن وإيقاع لذلك نجد مصدر موسيقاها في الأصوات من الصوامت والصّوائت في الأوزان والقوافي، وإن عماد ذلك هو الحركات والسكنات التي تصحب الصّوامت، لذلك كان للإعراب حظ وفير في بناء الأوزان وإبداع الأنغام لتحقيق بعد فنيّ وتشكيل جماليّ لخلق أطيايف من المشاعر وظلال من الأحاسيس.

يلتقي الإعراب مع المستوى الصّرفيّ من خلال العلامات الإعرابيّة الفرعيّة التي تلخّص درسا صرفيّاً قائما بذاته في الأبواب السّبعة؛ حيث نجد الصّيغة الصّرفيّة هي التي تستدعي العلامة الإعرابيّة المناسبة. كما نجد المشتقات عوامل مؤثرة لها معمولات يظهر من خلالها أثر العامل متمثلاً في الإعراب.

كما يبرز جلياً أثر الجزم في تغيير بنية الكلمة مقطعيّاً، وإذا كان الجزم واقعا نحوياً يلخّصه باب الجوازم أو الفعل المضارع المجزوم، فإنّ الوقف سلوك كلاميّ يصحبه تسكين الكلمة؛ وهو تجريدتها من أيّة حركة-بناء أو إعراب- فينتج عن ذلك أثر صوتيّ وآخر دلاليّ في كثير من السياقات اللّغويّة، ولعلّ الوقف في القرآن الكريم أهمّها.

يتقاطع الدرس النحوي مع الدلالي من خلال الإعراب لأن الإعراب يفصح عن المعاني النّحويّة التي لا تنفك عن المعاني المعجميّة التي لاتنفصل بدورها عن السيّاقيّة التي تسهم في تشكيل الجملة موضوع النّحو التي يلح تعريفها على أنّها اللفظ المفيد الذي يحس السكوت عليه.

يعد الإعراب تطورا عقليا ونماء فكريا لذلك تتجاوز الجملة المعنى القريب الي المعنى البعيد من خلال البلاغة التي توجهها مختلف الأساليب التعبيريّة متوسّلة بأثر الإعراب.

مراجع البحث:

1. أحمد سليمان ياقوت(1983)، ظاهرة الإعراب في النّحو العربيّ وتطبيقاتها في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2.
2. إبراهيم أنيس(1951م)، من أسرار العربيّة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د، ط).
3. محمّد علي التهانوي،(1868م) كشاف اصطلاحات الفنون، كلكتا، د ط.
4. ابن جني (1952م)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية.
5. ابن خلدون، المقدّمة، التجارية الكبرى، مصر، (د، ط)، (د، ت).
6. الخضري محمد الخطري الدوميّاطي ، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، التجار
ية الكبرى ، (دط)، (دت).
7. ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير

8. أبو عمر بن سعيد الداني (1960م) المحكم في نقط المصحف تحقيق عزة حسن، وزارة الإرشاد، دمشق، (دط).
9. زبيدة بن اسباع، كلمة العدد مجلة الاداب والعلوم الانسانية زبيدة بن اسباع، كلمة العدد مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة باتنة، المجلد 15 العدد الأول.
10. الزجاجي أبو القاسم (1952م)، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار العروبة، القاهرة، (د، ط).
11. سوسور، فيردينان (1986)، محاضرات في اللسانيات، تر: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، (د، ط).
12. سيويو، أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر الكتاب، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، دار التاريخ، بيروت لبنان، (دط)، (دت).
13. السيّد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسيّة للغة العربيّة، دار الرّجاء، عنّابة، (دط)، (دت).
14. السيوطي، (1408هـ-1987م)، المزهرة، تح: محمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت (د، ط)،
15. شوقي ضيف (1971م)، العصر الجاهليّ، دار المعارف، مصر، (د، ط)،
16. : شوقي ضيف، المدارس النّحويّة، دار المعارف القاهرة ، 5ط، (دت).
17. الفيروزآبادي، القاموس المحيط،
18. صبحي صالح (1971م) ، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط2،
19. علي عبد الواحد وافي (1944م)، علم اللّغة، مكتبة النهضة المصرية، (د، ط)،
20. كمال بشر (1998م)، دراسات في علم اللّغة، درا غريب للطباعة و النشر، دط.
21. محمّد محي الدّين عبد الحميدي (1999م)، التّحفة السّنيّة بشرح مقدّمة الأجروميّة، د ار الإمام. مالك للكتاب، (د، ط).
22. ميلكا إيفيتش، اتّجاهات البحث اللّغويّ، تر: سعد مصلوح ووفاء كامل فايز، ط2،
23. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دط)، (دت).
24. ابن هشام (1998) شرح قطر الندى وبلّ الصدى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر (دط).
25. ابن يعيش، شرح المفصل، الطبعة المصرية، مصر، (د، ط)، (د، ت)،

